٢١٥

منهج
أئمة الدعوة
في الدعوة إلى
الله

محاضرة لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ

وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد



رقم الإيداع	5593/ 2006



آل الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم
منهج أئمة الدعوة في الدعوة الى الله
تاليف / صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ
القاهرة : دار بن عباس 2006
87 صفحة مقاس 17 * 24 سم
1- الأسلام دعوة
Dewey/ 213

مكتبة ابن عباس

سمنود - جمهورية مصر العربية
شارع الثورة بجوار سنترال الدولية
هاتف وفاكس: ٠٤٠٢٩٦٧٣٦٨ محمول: ٠١٢٣٤٦١٨٩٦


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمـدُ لله رب العالمين، وهو وليُّ الصالحين، والمعينُ على نشر الحق، والهادي إليه .

وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله .

وصـلى الله علـيه وعـلى آلـه وصـحبه وسـلم تسليمًا كثيرًا...

أما بعد:

فأسـأل الله – جل وعلا – أن يجعلني وإياكم ممن إذا أُعطيَ شكر، وإذا ابتُلي صبر، وإذا أذنبَ استغفر، فإن هذه الـثلاث عـنوانُ السعادة، مَنْ إذا أعطاه الله – جل وعلا – مِنَحًا ونِعَمًا في أمر دينه أو أمر دنياه قابلها بالشكر، أو ابتلاه في نفسـه إمـا بابـتلاء بدنيّ، أو بابتلاء في ماله، أو بابتلاء في سمعـته، فإنـه يصبر ويحتسب، وإذا أذنب - « **وكلُّ ابنِ آدمَ**

خطّاء »[١] - فإنه يستعجل ويستغفر ﴿ .. وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[٢] .

أسأل الله - جل وعلا - أن يجعلنا جميعًا ممن تعلّم العلم فعلّمه، وعمِل به، وسار على نهج أئمته وأعلامه .

ثم إن هذه المحاضرات التي تقام في هذا الجامع لا شك أنها تستحق ممن أعدّ لها ورتب، وصبر على ذلك الشكرُ والتقديرُ منا جميعًا ؛ وذلك أن الشُّبَهَ والطعن في هذه الدعوة التجديدية السلفية الإصلاحية التي قامت في هذه البلاد في القرن الثاني عشر كثُرَ الطعن فيها واللمزُ ممن ليس عندهم من العلم ما يمكنهم من فهم هذه الدعوة، ولا عندهم من الأناة والتبصُّر ما يجعلهم بريئي

(١) أخرجه «أحمد» في «مسنده» (٢٠: ١٣٠٤٩)، و « الترمذي » في «جامعه » في (كتاب صفة القيامة - باب استعظام المؤمن ذنوبه) (٢٤٩٩)، و « ابن ماجه » في « سننه » في (كتاب الزهد - باب ذكر التوبة) (٤٢٥١)، من حديث (أنس) رضي الله عنه .

(٢) (طه: ٨٤) .

الذمة فيما يذكرون ويتحدثون به . وليس هذا بغريب، فما أشبهَ الليلةَ بالبارحة! فأولُ ما قامت الدعوة كثُرَ الطعنُ فيها من قِبَلِ خصومها فيما حول هذه البلاد، وفيما بَعْدَ واليومُ يتكرر الأمر كذلك . فالطعن فيها عالميٌّ، كما أن الطعن فيها يكون أحيانًا محليًا، فجاءت هذه المحاضرات والندوات بهذه السلسلة المباركة للقيام بواجب الإيضاح والبيان عن هذه الدعوة السلفية الإصلاحية المحمدية التي قام فيها علماؤها باتباع السنة فيما يقولون، وما يتركون في أمر الدعوة، ولم يأتوا في مسألة إلا ولهم فيها دليل على ذلك، ولم يقولوا بقول في أصول الدين وفي فروعه إلا ولهم عليه حجة وبرهان، ولذلك كان من الواجب أن ينبريَ مَنْ يدافع عن هذه الدعوة قيامًا بالواجب، ووفاءً لهؤلاء الأئمة الذين نصروا دين الله – جل وعلا – وجاهدوا في الله حق جهاده، وقد قام بهذا الواجب من رتّبوا لهذه المحاضرات والندوات .

فأسأل الله – جل وعلا – أن يجزيهم خيرًا، وأن

يجمعنا وإياهم جميعًا مع أئمة هذه الدعوة، وعلماء الإسلام والصالحين مع السلف السابقين في جنات عدن إنه - سبحانه - جوادٌ كريم، وهو وليُّ الإحسان والفضل. اللهم آمين .

□□□□□

❑ تعريف «الدعوة»:

وعنوان هذه المحاضرة: «**مَنْهَجُ أَئِمَّةِ الدَّعْوَةِ فِي الدَّعْوَةِ إلى اللهِ، عزّ وجلّ**»، وكثيرًا ما يُسأل عن سبب تسمية علماء الدعوة بأئمة الدعوة، وهذا سؤال قديم معروف يتردَّد بين الحين والآخر، والإمام كما هو معروف المقتَدَى به من الناس، سواءٌ أكان الاقتداء في الخير والهدى، أم كان الاقتداء في ضده، فللحق أئمة، وللضلال أئمة ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا .. ﴾ (١)، وقال – جل وعلا – في أئمة الضلال: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ... ﴾ (٢)، وكذلك في مر العصور مَنْ كان مقتدًى به في بلده أو في عصره أو في محلّته، وأثّر ذلك في الناس فإنه إذا كان على ما كان عليه الأئمةُ فإنه يقال له: إمامٌ، بحكم الاقتداء، وقد يكون له من الإمامة الحقة أوفرُ الحظّ

(١) (النحل: ١٢٠) .

(٢) (القصص: ٤١) .

والنصيب، أو قد تكون دون ذلك بحسب الحال .

والمقصودُ بالدعوة هذه الدعوةُ الإصلاحيةُ التي قامت في هـذه البلاد في القـرن الـثاني عشر من الزمان، فـ«أل» فيها للعهد، وأئمة الدعوة ليس «أل» فيها للجنس، جنس الدعـوة ؛ لأن أئمـةَ دعوةِ الإسلامِ كُثُرٌ، وإمامُها محمد بن عـبد الله – علـيه الصـلاة والسـلام –، ولكـن «أل» في «الدعوة» هنا للعهد الحضوريِّ المعروف، ولهذا قال بعض العـلماء في ذلـك: أئمـة هـذه الدعـوة، ومـنهج أئمة هذه الدعـوة، يعني الدعوة المعروفة، حتى يوضِّح الفرقُ ما بين الدعوة بإطلاقٍ، والدعوة السلفية التجديدية .

أما أئمةُ دعوة الإسلام فهم صحابةُ رسول الله ﷺ ، ومَـنْ سـار عـلى نهجهـم مـن أئمـة الـتابعين والأئمـة المتبوعين، وهكذا إلى زماننا الحاضر .

فأئمـةُ هـذه الدعوة الإصلاحية الذين سنتحدث عن مـنهجهم هـم بعـض أئمـة الدعوة إلى دين الإسلام الذين اقـتدَى بـه الـناسُ في الخـير، ونفعـوا الـبلاد والعـباد ممن

حولهم، وممن بَعُدَ عنهم .

والمنهج يُحْرَصُ عليه دائمًا، لأن المنهج أقعَدُ في النفوس، وأقْبَلُ في الفهم ؛ لأن التفريعات قد لا تكون مستحضرةً دائمًا، لكنَّ المنهج يُستحضر، ولذلك إذا كان عند المسلم قواعدُ عامةٌ يفهمها ويرجعُ إليها فإنها ستكون أسهلَ له في ردِّ الشبه، وقَبول الحق، وفي فهمه لاختصارها وعِظَمِ فائدتها .

ولهذا يُذكر أن أحد العوام الذين فهموا هذه الدعوة ناظَره رجلٌ في بلد من البلدان فقال له: اللهُ – جل وعلا – قال في الشهداء: ﴿ .. أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١) فلماذا تمنعون سؤال الشهداء، وهم أحياء ؟ فقال له – بحكم فهمه للمنهج والتأصيل العام، وإن لم يكن طالب علم في نفسه -: اللهُ – جل وعلا – قال: ﴿ .. يُرْزَقُونَ ﴾، ولم يقل: (يَرزِقُونَ) والذي يُرْزَقُ يُدْعَى له، والذي يَرْزُقُ

(١) (آل عمران: ١٦٩) .

هو الذي يُدْعَى.

وهـذا جواب سهل، وردٌّ لهذه الشبهة التي قد يوردها بعـض مـن لم يفهـم التوحـيد، ولكـنَّ فَهْـمَ مـنهج أئمـة الدعـوة، وفَهْمَ أصولها ييسر اللهُ بذلك ردَّ كثير من الشبه، ويرزقه اللهُ - جل وعلا - قبولَ الحق بسهولة على سبيل الإجمال .

وأمـا التفصـيل فهو خاص بأهل العلم، المشتغلين به ليلاً ونهارًا .

□□□□□

❑ حكم الدعوة إلى الله – عز وجل – :

الدعوةُ إلى الله – عز وجل – هي سبيل الأنبياء والمرسلين، قال الله – جل وعلا –: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

الدعـوةُ إلى الله – جل وعلا – مأمورٌ بها أمرَ إيجابٍ أو اسـتحباب، وقـد تكـون فرضًـا عينـيًا أو كفائـيًا، وذلـك بحسـب الحـال، قال – جل وعلا –: ﴿ ..وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ.. ﴾ (٢)، وقـال – جـل وعـلا – لنبـيه: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ ﴾ (٣)، فـالدعوة مـأمورٌ بهـا ومثنىً على أصحابها .

و«الدعـوة»: اسم عام يشمل كلَّ ما فيه إرشاد إلى ما

---

(١) (يوسف: ١٠٨) .
(٢) (الحج: ٦٧) .
(٣) (الشورى: ١٥) .

يحبه اللهُ – جل وعلا – ويرضاه.

فالدعوة إلى التوحيد دعوةٌ .

والدعوة إلى الفرائض وأركان الإسلام دعوةٌ .

والدعوةُ إلى الأحكام الفقهية دعوةٌ .

والمواعظُ دعوةٌ، وردُّ الشبه دعوةٌ .

وتأليف الكتب دعوةٌ، وإرسال الرسائل دعوةٌ .

والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر هو أيضًا يدخل في الاسم العام للدعوة، وإن لم يدخل في الاسم الخاص عند الاقتران بقوله -تعالى-: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ومـا فيه نصحٌ للناس وسعيٌ في حوائجهم بإرشادهم، وبيان ما يحتاجون إليه دعوةٌ .

---

(١) (آل عمران: ١٠٤)

فاســم الدعوة يشمل كلَّ ما فيه تبليغٌ للدين، وكلَّ ما فـيه إبـلاغ لرسالة الله – جل وعلا – سواء أكان ذلك في أمـور الديـن العظـام، أم كـان في تفاصيل الدين، ولذلك كـان اســم الدعـوة من الدعاء إلى الخير، فالدعاء إلى الخير اسم عام، فكلُّ مَنْ لديه علمٌ قلَّ أو كثُرَ فعليه أن يدعوَ إلى الله – جل وعلا – بحسب ما لديه من العلم التفصيلي .

□□□□□

❑ أركان الدعوة:

لكن هذه الدعوة إذا أردنا أن ننظر إليها في منهجٍ علميٍّ لا بد من تقسيم أركانها حتى يفهم تفاصيل طريقة أئمة الدعوة في ذلك .

فما مضمون تلك الدعوة، وما محتواها، وما موضوعها ؟

الجواب: الدعوة تحتاج إلى داعٍ، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (١)

وتحتاج إلى مخاطب بالدعوة، وهو المدعوُّ

وتحتاج إلى وسيلة تُبَلِّغُ بها الدعوة .

وتحتاج إلى منهج .

فحقيقة الدعوة أيَّ دعوة كانت قائمةٌ على هذه الأمور الخمسة: الأول المضمون، والموضوع، والمحتوى .

---

(١) (الأحزاب ٤٦)

والثاني: الداعية .

والثالث: المدعوُّ .

والرابع: الوسيلة .

والخامس: المنهج .

وسنعرض لكل واحد منها بإلماحة سريعة، مع بيان لبعض النقول لأئمة الدعوة – رحمهم الله تعالى – فيما يبين هذا المنهج .

أما هذه الدعوة الإصلاحية فهي دعوة الإسلام التجديدية، ومضمونُها الدعوة إلى تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، والعناية بالوسائل الدينية التي تعين على ذلك .

و (لا إله إلا الله) معناها: لا معبود بحقٍّ إلا الله، وكل معبود سوى الله – جل وعلا – فهو باطل عُبِدَ بالبغي والظلم والطغيان والاعتداء من البشر .

فالدعوة إلى عبادة الله وحده، والكفر بالطاغوت،

ومعناه الكفر بعبادة غير الله – جل وعلا –، ثم شهادة أن محمدًا رسول الله . هذا هو مضمون هذه الدعوة .

وقد بيّنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – في قوله: إن معنى شهادة أن محمدًا رسولُ الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتنابُ ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شَرَعَ، فبالتالي جَمَعَتِ الشهادتان مضمونَ هذه الدعوةِ .

□□□□□

❑ الأمور التي اشتملت عليها الدعوة السلفية الإصلاحية:

وما تدعو إليه هذه الدعوة السلفية الإصلاحية التجديدية مشتمل على الأمور الستة الآتية:

الأول: الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله وحده.

الثاني: الدعوة إلى الكفر بالطاغوت، وهو عبادة غير الله - جل وعلا - ﴿.. فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ..﴾ [1].

والعروة الوثقى: هي كلمة التوحيد.

الثالث: أن يطاع النبي ﷺ في جميع ما أَمَرَ به، كالأركان العملية في الإسلام: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وسائر ما أمر به النبي ﷺ أو بلَّغه من أمر الله، جل وعلا.

الرابع: تصديقُ الأخبار، فما أخبر به - عليه الصلاة

---

(١) (البقرة: ٢٥٦).

والسلام – أو ما جاء في القرآن خبرًا عن الله – جل وعلا – . فإن التصديق به من مضمون هذه الدعوة، والدعوة إليه من أصول هذه الدعوة .

الخامس: اجتناب ما نهى عنه – عليه الصلاة والسلام – وزَجَرَ، وما أخبر بتحريمه، وما نهى عنه نَهْيَ تحريم، فإنه يجب الدعوةُ إليه ؛ لأنه من دين الله، جل وعلا.

السادس: أن لا يُعْبَدَ اللهُ إلا بما شرعه رسولُ الله ﷺ.

وفي هذا السادس إبطالٌ لجميع أنواع المُحْدَثاتِ في الدين، وأنواع البدع والخرافات، وما جرَّ إلى ذلك من البدع الاعتقادية والعملية والعلمية .

والحديث عن ذلك واسع، وقد جاءت إحدى المحاضرات في تفصيل هذه المسائل.

فإذن الدعوة بسيطةٌ في محتواها، ليست دعوةً تخاطب العقل الفلسفي، وليست دعوةً تخاطب السلوك الصوفي، وليست دعوةً تخاطب الناس في أمورٍ لا يعقلونها أو

يصعبُ عليهم فَهْمُها، ولذلك كانت الاستجابة لها كبيرة ومطَّرِدة في العالم كله ؛ لأنها سهلة ميسورة، وهي دعوة تناسب الفطرة ؛ لأنها دعوة الإسلام الصحيح ؛ لهذا كان محتوى هذه الدعوة هو تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ؛ لأنها داخلة في أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره . فهو داخل في التصديق بما أخبر رسول الله ﷺ .

كذلك الإحسان داخل في ذلك .

وكذلك تفاصيل الدين داخلة فيه ؛ لأن الدين إمَّا أمرٌ يجب عليك أن تستجيب له، أو يُستحب لك أن تستجيب له، وإمَّا نهي يحرم عليك أن تقتحمه، أو يكره لك أن تقتحمه بحسب التفصيل في الشرع، وهذا داخلٌ فيما ذكرنا فيجمع الدينَ كلَّه .

□□□□□

❑ العناية بالداعية :

ليس من دعوة إلا وتحتاج إلى دعاة، فلا يمكن أن تقوم الدعوة على فرد أو أفراد قلائل، فلا بد من دعاة يحملونها، وهذا يقتضي أن يُهَيَّأ الداعية ليحمل هذه الدعوة، ولذلك كان من أهم مميزات هذه الدعوة ومنهجها – بخلاف كثير من الدعوات – أنها مستمرة منذ نشأت إلى الآن وتقوى، لماذا ؟ لأن فيها العناية بالداعية .

وكثير من الدعوات بدأت واضمحلت، وربما انحرفت إلى مسارٍ آخر ؛ لأن التربية الدينية العلمية الشرعية ضعفتْ وصارت إلى أنحاء شتى فلم تكملِ المسيرة، حتى بعض الدعوات المنتسبة إلى الدعوة الإصلاحية، أو الدعوة السلفية تجد أنها في بعض البلدان ضعفت كدعوة أنصار السنة المحمدية ؛ لأنها لم تهتم بالداعية، وإنما اهتمت بالمحتوى، وبالمنهج وبالأسلوب . فلم يُخَرِّجُوا أجيالاً من طلبة العلم يحملون هذا اللواء،

وإذا لم يوجد هذا الهمُّ في أن يكون هناك من يحمل لواء الدعوة والدعاة، فإنه حينئذ سيأتي يوم تضعف فيه وتضعف حتى تضمحل، كما أنه في بعض البلاد كان هناك علماء كبار نفعوا الناس في زمانهم نفعًا عظيمًا . ولكن ضعفت دعوتهم، لماذا ؟

لأنهم لم يتوفَّروا على تخريج طلبة علم أقوياء يحملون العلم والدعوة من بعدهم، ورجع حال تلك البلاد كما كانت عليه من قبل ؛ لذلك كان من الأشياء التي اهتمت بها هذه الدعوة إيجاد الدعاة .

□□□□□

❏ تعريف الداعية:

الداعيةُ هو العالم، المستمر في طلب العلم، وليس الداعية هو الجاهل .

ومن شروط الداعية أن يكون على بصيرة .

الدعاة هم الذين يعلّمون، فيدعون إلى ما يعلّمونه .

هناك وعّاظ يُسَمَّوْنَ دعاةً أو مرشدين . واعظ فيما يتعلق بأمر معين في ترقيق القلوب، ونحو ذلك، وكان السلف يسمونهم القصاصَ، والمذكّرين، كما جاء في كتاب لابن الجوزي باسم (القصاص والمذكرون) .

فالداعية واعظ وزيادة، ولكن الواعظ ليس بداعية ؛ ولذلك اهتمت الدعوة بالعلم ؛ لأن من أساسيات الداعية أن يكون عالمًا، أو طالبَ علم حتى يكون محتوى ما يدعو إليه صوابًا .

إذا نظرنا إلى رسائل أئمة الدعوة - رحمهم الله -

الشـيخ محمـد بـن عـبد الوهـاب في كـتاب (التوحيد)، ومسائله وفي غيرها، وفي أجوبة المشايخ إلى وقتنا الحاضر نَجِدُ الاهتمامَ بهذا الأصل .

□□□□□

❑ من صفات الداعية الإخلاص:

ومن أهم الأمور للداعية أن يكون متوفرًا على الإخلاص؛ لأن من شرط الانتفاع بالدعوة، وانتفاع الداعي بدعوته أن يكون مخلصًا لله، جل وعلا .

والإخلاص معناه أن يكون القصدُ بالدعوة وجهَ الله – جل وعلا –، وتقريبَ الناس لربهم – جل جلاله وتقدست أسماؤه – كما ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائل (كتاب التوحيد) بعد ما ساق قولَه – تعالى – : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى .. ﴾ [1]، وحديث معاذ، الذي في الصحيحين عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: **لما بَعَثَ النبيُّ ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن قال له: «إنك تَقْدَمُ على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن**

---

(١) (يوسف: ١٠٨) .

يوحدوا الله تعالى .. »[١] .

قال – رحمه الله تعالى –: فيها – يعني: في الآيةِ والحديثِ – التنبيهُ على الإخلاص ؛ لأن كثيرين لو دَعَوْا فإنهم قد يدعون إلى أنفسهم، أو إلى شيخهم، أو إلى طريقتهم .

لا يكن الهمُّ أن ينظروا إليك نظرَ إعجاب ؛ بل ليكن الهمُّ هو تقريبَ الناس إلى ربهم – جل وعلا – وفي هذا تنبيه على الإخلاص، ﴿ .. ٱدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ .. ﴾ لا إلى غيره، قد يدعو الإنسان إلى الله، ويدعو إلى تعظيم نفسه .

كان بعض السلف – رحمهم الله تعالى – من التابعين إذا اجتمع له في الحَلَقَة أربعون قام وتركهم خشيةً من أن يقدح في إخلاصه .

(١) أخرجه « البخاري » في « صحيحه » في (كتاب التوحيد – باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمّته إلى توحيد الله تبارك وتعالى) (٧٣٧٢)، وفي (كتاب الزكاة – بابُ وجوب الزكاة) (١٣٩٥) و « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب الإيمان – باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام) (١٩)

وكـان كـثيرون مـنهم يهـربون مـن لقاء الناس وكثرة الناس لئلا يؤثر ذلك في إخلاصهم [(١)] .

فهي فتنة للتابع ومذلّةٌ للمتبوع [(٢)] .

والإخلاص هو الميزان في هذا الأمر .

□□□□□

---

(١) أخـرج « الدارمـي » في « سننه » في (باب مَنْ كره الشهرة والمعرفة) (١: ١٣٢) كان « الحارث بن قيس الجعفي » - وكان من أصحاب عبد الله - يحدث الرجل والرجلين، فإذا كثروا قام وتركهم .
وفي (١: ١٣٥) مثله عن طاوس .

(٢) ورد هـذا الأثر من قول « عمر بن الخطّاب » - رضي الله عنه – وقول « سعيد ابن جبير» .
انظـر «سـنن الدارمـي» (بـاب مَـنْ كره الشهرة والمعرفة) (١: ١٣٢ – ١٣٤)، و«تفسـير ابـن كـثير» (٦: ٣٤٣) عـند قولــه – تعالى -: ﴿ .. وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان: ١٨) .

❑ من صفات الداعية العلم:

ومن الأمور المهمة للداعية العلمُ.

الداعيةُ لابد أن يتحصّن بالعلم، والعلم هو البصيرة ؛ ولذلك كانت مؤلّفات علماء الدعوة لطلبة العلم في الأصول، والفروع كثيرة متنوعة، وكان هناك نوع خطاب من علماء الدعوة للخاصة من القضاة والمفتين والمعلمين.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن – رحمه الله تعالى – في رسالة له: ومَنْ عَرَفَ قواعدَ الدين وأصولَ الفقه، وما يُطلب من تحصيل المصالح ودفع المفاسد في أمرٍ من أمور الأمة العظيمة التي حصلت في وقته من الفتن لم يُشْكِلْ عليه شيء من هذا، وليس الخطاب في هذه المسائل وتقعيد المسائل مع الجهلة والغوغاء، وإنما الخطاب مع معاشر القضاة والمفاتي والمتصدّين لإفادة الناس وحماية الشريعة، فقد كانوا يخصونهم ببعض التفصيلات المهمة ؛ لأنهم الذين سيحملون هذه الدعوة وهذا العلم،

والعلم هو الركن الأساسي الذي يحمله الداعية .

فمَنْ لديه التفصيلُ والتقعيدُ والفهمُ فإنه يكون ناجحاً في دعوتِه . فكان علماء الدعوة يحرصون على تبصير هذه الفئة من القضاة، والمفتين والمتصدرين للتدريس، والمتصدرين للدعوة حتى إنه ربما وضعوا التنظيمات التي تمنعُ مَنْ ليس أهلاً للدعوة أن يمارسها .

قال الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله تعالى - لما كثر الوعّاظ والذين يتكلمون بغير دقة في علمهم، في الفتاوى: حرصًا على المصلحة ومنع الفوضى فقد رأينا من الضروري وضع تنظيم كفيل بأن لا يتولى التدريس والوعظ والإرشاد إلا من كان كفئًا وأهلاً لذلك، وهذا لأجل الاهتمام بأن تكون الدعوة محمولةً من دعاة عندهم الأهلية الكافية في الدعوة إلى الله - جل وعلا -، فلم يكن الأمر عند الأئمة وعلماء الدعوة أن يُفْتَحَ البابُ على مصراعَيْه، بل كانوا يعتنون بطلبة العلم والدعاة في تربيتهم وتأهيلهم، وأن لا يتصدى للناس إلا من كان

معتنيًا بهذه الدعوة .

وكذلـك اعتـنوا في الداعـية في أن يكون ممتثلاً للشرع، وتطبـيق الديـن، والحـرص عـلى امتثال أوامره، والتأسي بالـنبي ﷺ، وبُعـد الداعـي عن المنكرات في أموره الظاهرة والباطـنة، وأن يكون قدوةً حسنة لأهله وطلابه ومجتمعه . وهـذا فيه من النقول الكثيرة ؛ لأن القدوة الحسنة لا تكون إلا بالامتـثال لشرع الله، وذلك سببٌ لقبول الدعوة منه . فـإذا كان يأمر الناس إلى شيء ولا يمتثله فإنه حينئذٍ يكون مضرًا للدعوة .

□□□□□

❑ من صفات الداعية تزكيةُ النفس، والتعبدُ:

من الأصول المهمة في تربية طلاب العلم والعلماء تزكيةُ النفس، والحرصُ على زيادة الإيمان وتقويته، فلا تجدُ عندَ حملةِ الدعوة وطلاب العلم في أول زمان الدعوة إلى وقت قريب فتوراً في العبادة، أو ضعفاً في التدين، أو عدم القيام ببعض النوافل كقيامِ الليل، والحرص على الصيام، وكثرة تلاوة القرآن، وكانوا يتنافسون في ذلك، بل كان الأكثرُ منهم يقومون طرفاً من الليل قبل أن يُؤَذِّن المؤذنُ الأذانَ الأول في المساجد.

لا شك أن الزمان اختلف وحصل بعض المتغيرات فيما يعين على مثل هذا. لكن كان من الأساسيات عندهم لحمل الدعوة أن يمتثلوا سنة النبي ﷺ فيما أمره الله – جل وعلا – فيه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ

﴿ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ۝ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ (١) فـ(القول الثقيل) هو هذا الدين (٢)، فهذا الدين والعلم ليس بالأمر السهل .

ولما سُئل الإمام مالك – رحمه الله تعالى، وهو إمام دار الهجرة – عن مسألة فأرجأ الجواب عليها (٣) ، قال له بعض طلابه: هذه مسألة سهلة، فالتفت إليه وقال: ليس في مسائل الدين شيء سهل، قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾. فذلك لأنَّ الداعيةَ العالِمَ طالب العلم مُبَلِّغٌ عن رب العالمين، يحتاج إلى ثباتٍ وقوةِ علم، حتى يخلص من التبعة فيما يُبَلِّغُه من دين الله، جل وعلا .

وكان من سمات الدعاة وطلبة العلم في هذه الدعوة أنهم كانوا أهل تعبد، وأهل صلاح وأهل نُسُكٍ، وأهل

---

(١) (المزمل: ١ – ٥) .

(٢) انظر « تفسير الطبري » (٢٣: ٣٦٥)، و «تفسير ابن كثير » (٨: ٢٥١) .

(٣) انظر « جامع بيان العلم وفضله » (٢: ٥٣) .

متابعة فيما يأتونه لسنة النبي ﷺ حرصًا على الواجبات، وابتعادًا عن المحرمات وحرصًا على النوافل .

كذلك فيما يتعلق بالمناصحة كان بعضهم يناصح بعضاً، ويعين بعضُهم بعضًا فيما يهتمون به من أمر الدين.

كان أيضًا من صفاتهم التي رُبُّوا عليها أنهم كانوا أهل عفةٍ في اللسان، ليسوا بأهل وقيعة ؛ لذلك لم يعرف أن بعضهم وقع في بعض، أو كان بعضُهم يسيء إلى بعضٍ في قوله إلا ما ندر، وكانت بينهم مناصحات، كما حصل بين بعض المشايخ في بعض الأزمان، وكان القصدُ من ذلك الدينَ، وليس الهوى، وكانوا في ألسنتهم عفيفين ممتثلين لقول الله – جل وعلا –: ﴿ .. وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ .. ﴾ (١)، ولقوله: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ .. ﴾ (٢)، ولقوله – عليه

(١) (الحجرات: ١٢) .

(٢) (الإسراء: ٥٣) .

الصلاة والسلام -: « **كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** » [1] فكانوا لا يغتاب بعضُهم بعضًا، ولا يغتابون غيرهم، فكانت مجالسُهم مجالسَ خيرٍ وتعليمٍ وهدىً .

حتى أن الشيخ «محمد بن إبراهيم» - رحمه الله - جاءه أحد طلابه في الحَلْقَة، وقال له: يا شيخُ بعضُ الطلاب يقول فيك كذا وكذا، فقال: إذا جاء الغدُ فذكِّرني في حلقة الدرس، فجاء وقال: يا شيخ أنا الذي قلت لك أمسِ كذا وكذا - قال ذلك أمام الطلاب -، فقال الشيخ: ما وَجَدَ الشيطانُ أن يرسل أحدًا إلا أنت، هذا يقول: إن بعضكم يتكلم ويقول فيَّ كذا وكذا، وأنا لا أبيح لأحدٍ منكم أن ينقل لي كلامًا فيَّ .

---

(١) أخرجه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب البر والصلة والأدب - باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله) (٢٥٦٤)، و«أحمد» في « مسنده » (١٣: ٧٧٢٧) و (١٤: ٨٧٢٢) من حديث «أبي هريرة» رضي الله عنه.

وهـذا الأصل في السنة، أن النبي ﷺ قال: **« لا يُبَلِّغني أحدٌ من أصـحابي عـن أحدٍ شـيئًا فإنـي أُحِبُّ أن أخرجَ إليكم وأنـا سـليمُ الصدر »** [(١)].

فمـثلُ هـذه الأخـلاق والتربـية كانت مهمة في طلبة العلم والدعـاة، فالداعيةُ العالِمُ طالبُ العلم يكون عفيفَ اللسـان، لا يُعْـرَفُ عـنه الوقـيعة في فـلان وفـلان، لأن الوقـيعة في الناس عمل الذي رخصت عليهم حسناتُهم ؛ لأنه لا بدَّ من القصاص يوم القيامة، وقد جاء في الحديث: **«أتـدرون ما المفلسُ ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم لـه ولا مـتاع، فقال: إن المفلس من أمتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصـلاة وصـيام وزكـاة، ويأتي قد شتمَ هذا، وقذف هذا، وأكـل مـال هـذا، وسـفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعْطَى**

---

(١) أخـرجه «أحمـد» في «مسـنده» (٦: ٣٧٥٩)، و «أبـو داود » في «سننه» في (كتاب الأدب – باب في رفع الحديث من المجلس) (٤٨٦٠)، و«الترمذي» في «جامعه» في (أبواب المناقب – باب فضل أزواج النبي ﷺ) (٣٨٩٦)، من حديث «عبد الله ابن مسعود» رضي الله عنه .

هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه، أُخِذ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه، ثم طُرِحَ في النار » (١) .

من سمات التربية في الدعوة، الحرص على السمت، سمت أهل العلم، والبعد عن الجدال والمراء، وحرص الداعية على بيته وأهله وأبنائه، ومَنْ في محلته ومسجده .

وهذه أمور فيها نصوص يضيق الوقت عن بسطها .

□□□□□

(١) أخرجه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب البر والصلة والأدب - باب تحريم الظلم) (٢٥٨١)، و « الترمذي » في « جامعه » في (أبواب صفة القيامة والرقائق والورع - باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص) (٢٤١٨)، و«أحمد» في « مسنده » (١٣: ٨٠٢٩)، من حديث « أبي هريرة » رضي الله عنه. واللفظ لـ«مسلم» .

❑ عالميةُ الدعوة:

الداعـية يتوجه بدعوته إلى شيء، الدعوة متوجهة إلى أناس بمحتوى الدعوة عن طريق الداعية .

فَمَنْ هو المدعوّ ؟

لاشـك أن الدعـوات المعاصـرة تنوعـت تنوعًا كبيرًا بحسـب مـنهج الدعـوة والهـدف منها، فإذا كان الهدف من الدعوة هدفًا سياسيًا فتجد أن الحرص لا يكون على عامة الـناس، ولا عـلى إنقـاذ المسـلمين، ولا على تبصير عامة المسـلمين، وإنمـا عـلى الخاصة، فتجد أن بعض الدعوات يكـون المخاطـب فـيها مـتجهًا إلى المـثقفين، مـتجهًا إلى الطـلاب، مـتجهًا إلى الكـبار، مـتجهًا إلى الأغنياء بحسب هدف الدعوة .

لكـن دعـوة الإسلام إنما هي لإنقاذ الناس من النار، والسعي بهم إلى جنة الرحمن – جل وعلا –، ولذلك كان الخطـاب في الدعـوة الإسـلامية مـن أول يـوم مـتجهًا إلى

الجميع، إلى الكبير والصغير، إلى الذكر والأنثى، إلى صاحب البادية وصاحب الحضر، إلى الأعمى والبصير حتى إنَّ الله - جل وعلا - عاتَبَ نبيه - عليه الصلاة والسلام - لأنه تصدى لمن كان غنيًا وترك الأعمى فقال: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ (١)، ثم قال: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ (٢).

هذه الدعوةُ الإصلاحيةُ أخذتْ بهذا الأصل. فالمدعوُّ فيها جميعُ المسلمين، وغيرُ المسلمين، وليس المخاطب فيها فئة من الناس، كطلبة العلم، والعقلاء، والأذكياء؛ لأنها ليستْ دعوةً سياسيةً، ليست دعوةً يراد منها أشياء معينة حتى تختص ببعض أهل العقول، وإنما هي دعوة خالصة لإرشاد الناس لما يجب عليهم تجاه ربهم، جل وعلا.

---

(١) (عبس: ١ - ٢).
(٢) (عبس: ٥ - ٧).

لهذا شملت هذه الدعوة كلَّ فئات الناس، فتوجهت إلى المدن والقرى، وتوجهت إلى البادية ؛ لهذا كان من سمات هذه الدعوة أن الخطاب فيها توجه إلى جميع الأصناف .

فالشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – في رسائله، وكذلك تلامذته من بعده خاطبوا العلماء في رسائل معروفة، كرسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي، وكان من العلماء، والرسائلُ كثيرة في هذا الصدد، وكان بينه وبينهم مباحثات.

كذلك توجّهت إلى العامة من الناس، فكان يُدَرَّسُ في المساجد « أصولُ تلقين العقيدة للعامة »، وشروط الصلاة ؛ لأن أصل الدين قائم على تصحيح العقيدة، وتصحيح العبادة ؛ ولهذا قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن – رحمه الله تعالى – في رسالة له:

حصل من الناس ما لا يخفى من الإعراض

والإهمال، وعدم الرغبة والتنافس فيما أوجبه الربُّ من توحيده، وصرفه على سائر عبيده، وقلَّ الداعي إلى ذلك والمذكِّر به، والمُعلِّم له في القرى والبوادي .

والواجب مراعاة هذا الأصل والقيام به، وبعث الدعاة إليه .

كذلك في المساجد مطلوب من إمام المسجد أن يجمع في كلِّ يومٍ اثنين أو ثلاثةً ويدرِّسهم أصولَ هذا الدين، وأصول العقيدة، وشروط الصلاة، وواجبات الصلاة إلى آخره .

فإذن هذه الدعوة من أهم مميزاتها الشمولُ، فليست دعوةً مختصةً بفئة دونَ فئةٍ ؛ لأنَّ الهدف من الدعوة هو تحقيق الشهادتين . وهذا الخطاب فيه عامٌّ .

□□□□□

❑ الرفق بالمدعوّين:

من سمات هذه الدعوة فيما يتعلق بالمدعوِّين اللطفُ والـرفقُ بـالمدعوين، وتقديرُ حالهم في الفهم، ولذلك تجد أن رسـائل الشـيخ محمد بن عبد الوهاب، ورسائلَ بعض علماء الدعوة بسيطةٌ سهلةٌ، وربما تكون فيها ألفاظ عاميّة. لماذا ؟

هـل هو عَجْزٌ عن أن يأتوا بتصانيف العلماء، وكلام العلماء القوي الرفيع ؟

الجـواب: لا، لكـن المقصـود مـنها أنها رسائل موجهة لمدعوِّيـن، فلابـدَّ أن تناسب فهمهم، وأن تناسب قُدَرَهُم، وأن تناسـب مـا هـم عليه من الاستقبال والحال والفهم، لذلك تجد في بعض الرسائل عباراتٍ من عبارات العوام، وأمـورًا سـهلة، قد يكون الآن الذي في المراحل الابتدائية يعـرفها، لكـن كـان مـن المهم أن يؤلف علماء الدعوة في ذلك ؛ لأن الخطاب في الدعوة عامٌ وليس خاصًا .

كذلك من سمات هذه الدعوة المواصلةُ مع المدعوِّين، وكانوا يُتعاهدون بالقرى في المواعظ بعد الصلاة، والقراءةِ على جماعة الناس، وكانت القراءةُ متواصلةً، وشرحِ ما أشكل فهمُه، كالقراءة في « رياض الصالحين »، وفي « تفسير ابن كثير » وفي بعض كتب التفسير النافعة، ثم يعلّق إمامُ المسجد أو العالِمُ إذا كان موجودًا عنده على قراءته، وهذا كان مستمرًا لأجل أن ينتفع مَنْ يحضر في المسجد في كلِّ يوم. ومعلوم أن جميعَ الرجال في ذلك الزمان يحضرون المساجدَ لا يتخلف منهم أحد إلا من كان معذورًا، ليس كحال هذا الزمان ، لذلك كان الجميع ينتفعون، وكانت الرسائل للجميع، فالمدعوّون ينتفعون على اختلاف أصنافهم.

□□□□□

❑ وسائل الدعوة إلى الله – تعالى – متنوعة:

الدعوةُ تحتاج إلى وسيلة .

والوسيلةُ هي التي توصل الدعوة إلى الناس، فلذلك كان لزامًا أن لا تُترك وسيلة مشروعة تُوصل الدعوة إلى الناس إلا وتُسلك، سواءٌ أكانت وسيلةً حسية أم وسيلةً معنوية.

وإذا استقرأنا الدعوةَ ونصوصَ العلماء فيها وجدنا أن الدعوة اهتمت بجميع الوسائل، لكن نرتبها على حسب الأهمية:

(١) التعليم والتدريس: كانت المحاضرات على هذا النحو قليلة أو نادرة، لكن كان العمل على حِلَق العلم والتدريس، حتى هُيِّئَتْ في الدرعية في وقت علماء الدعوة في أواخر حياة الشيخ محمد – رحمه الله – دارٌ كبيرة جدًا يجتمع فيها الناس ؛ ليسمعوا دروسَ العلم؛ لأنه ربما كانت المساجد صغيرة، أو نحو ذلك، فكان هناك دروس يومية

للعلماء، وكان التعليمُ والتدريس أهمُّ وسيلة لتبليغ الدعوة إلى طلبة العلم.

ومَنْ ليس مؤهَّلاً لأن يكون طالبَ علم، يكونُ مجالسًا للعلماء يفهم بعض العلم ويتأثَّر به . وهذا غاب عن أذهان الدعاة الآن .

الآن تجد جُلَّ من يحضر عند المشايخ وطلاب العلم، أو الكُلَّ هم من طلبة العلم المهتمِّين به، لكن المجالسون لا يوجدون.

وسابقًا كانت الأشغالُ عند الناس قليلةً، فكان الكثير يحضر ويجلس ويستمع فيستفيدون، لذلك كانت حِلَقُ العلم والتدريس مهمةً جدًا، وكان من سبب أهميتها في وسيلة الدعوة أنها هي التي خرَّجَتْ القضاةَ، والعلماء، وطلاب العلم، والمصنفين .

فالدعوة في الواقع حُمِلت من أول ما نشأت إلى الآن بقوَّة، ولم يزل العلماء يتتابعون وهي واضحة قوية، وقلَّ

أن تستمر دعوةٌ هذه المدة الطويلة بهذه القوة ؛ لأجل توفيق الله – جل وعلا – أولاً وحمايته ونصرته، ثم الاهتمام بهذه الوسيلة، وهي وسيلة بثِّ العلم والتدريس النافع، فالمحاضرات هذه مثل المواعظ يتأثر بها الشخص ويذهب ربما كان تأثرًا إيجابيًا أو تأثرًا سلبيًا بحسب الحال، لكن العلم والصبر عليه يُنشئ جيلاً قويًا يحمل الدعوة، ويحمل العلم وينفع به.

اليوم فيما نرى أن الذين أخذوا من هذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية – حرسها الله تعالى – العلمَ من المشايخ في هذا العصر لما انفتح باب السفر وذهبوا ونفعوا الناس في خارج هذه البلاد بالعشرات بل بالمئات، لم ينفعوهم بالمواعظ ولا بالتذكير وإنما نفعوهم في الحقيقة بالعلم، وتأثر الناس تأثرًا عظيمًا بذلك، سواء أكانوا من الدعاة الرسميين أم كانوا من الدعاة المتجوِّلين الذين ذهبوا من طلاب العلم في دورات أو حلق أو ملتقيات أو نحو ذلك، ثم يرجعون ويذهبون بين الحين

والآخر. هذه الأمور نشرت الدعوة نشرًا عظيمًا، وسبب ذلك أن أعظم ما يكون من الوسائل لنشر هذه الدعوة هو العلم، أما إذا تُرك العلم فإن الدعوة ستضعف وستنحرف ؛ لأنه سيكون هناك عقلياتٌ ومصالحُ وقيلَ وقالَ، وذهاب عن حقيقة هذه الدعوة إلى آراء أخرى .

لذلك نؤكد على أن من سمات المنهج عندهم في وسائلهم الاهتمامُ بالعلم والتعليم وحِلَقِ العلم، والتدريس .

(٢) الوعظ والإرشاد: يُبْعَثُ الوعاظُ والمرشدون إلى القرى والبوادي ويَعِظُونَ الناسَ بعد الصلوات، وهذا لأجل أن الناس يحتاجون كثيرًا إلى ما تُرقق به القلوب، وتحيا به النفوس، من التذكير بحق الله واليوم الآخر، وما أعدَّ الله – جل وعلا – فيه .

(٣) معاهدة النصح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من حسنات هذه الدعوة، وما قامت به الدولة السعودية الأولى إلى الآن، من الأمر بالمعروف، والنهي عن

المنكر من أهم الوسائل لتبليغ الدعوة، والأمر بالمعروف يشمل كل ما فيه خير للناس، والنهي عن المنكر يشمل النهي عن كل ما يضرهم .

لكن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن تتحقق فيه شروط .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – في هذا الأمر كما في « تاريخ ابن غنام » وهو موجود في رسائله أيضًا: الإنسان لا يجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة، فأولُ درجات الإنكار معرفتُك أن هذا مخالف لأمر الله، يعني الاحتياج إلى العلم في ذلك .

وقال في موضع آخر: وأهلُ العلم يقولون: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاثة أمور:

١- أن يَعرف ما يأمر به، وينهى عنه .

٢- وأن يكون رفيقًا فيما يأمر به، وينهى عنه .

٣- وأن يكون صابرًا على ما جاءه من الأذى .

وقـد رتبـتْ فـئات وجماعـات تدعـو وتأمر بالمعروفِ، وتـنهى عـن المـنكر بالشروط المذكورة، وذلك امتثالاً لقول الله – جــل وعــلا –: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

(٤) العناية بالكتب والتآليف فيما ينفع الناس بحسب طـبقاتهـم. وهذا مهمٌّ، وتآليف أئمة الدعوة –رحمهم الله– ليسـت كتآلـيف العـلماء الذيـن تصدوا للتأليف العلمي، كـالذين فسروا القرآن، وشرحوا كتب الحديث، أو شرحوا كتـب الفقــه، أو نحـو ذلـك في المطـولات. لم يكـن هـذا مـنهجَهم في التألـيف، وإنما اهتموا بالتأليف العلمي الذي يـنفع الناس ويحتاجونه ؛ ولذلك جاء « كتاب التوحيد »، عـلى اختصـاره لـيس لــه مثـيل فـيما سبق من مؤلفات العـلماء، جَمَعَ ما تفرّق في كلام العلماء، وما دلت عليه

(١) (آل عمران: ١٠٤).

الآيات والأحاديث في مسائل التوحيد، وكان تأليفًا سهلاً ميسورًا، وشرح لأجل الحاجة إليه .

لماذا لم يكن من منهج أئمة الدعوة أن يقصدوا إلى التأليف ؟

الجواب: لأنهم مشغولون بأمر الدعوة، وبهداية الناس؛ ولذلك قال الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله -: وقد كتبتُ لك هذا الجواب، في ليلٍ وأنا متعكرُ البال مما يحصل من الأمور، وإذا كان لديك الرغبةُ في المزيد من البحث فليكن مشافهةً .. يعني لا تكتب لي مرة ثانية ثم بعد ذلك أجلس أنا زمنًا أكتب لك، وأمور كثيرة نعانيها قد لا تُهَيَّأُ لي الكتابة الكاملة، فتأسيس دولة، وتأسيس دعوة، ونشر ذلك هذا يتطلب أشياء كثيرة، فلذلك كان اهتمامهم بوسيلة التأليف لنفع الناس بحسب الحال .

(٥) المراسلة: وهي وسيلة مهمة من وسائل الدعوة ؛ لأنه قد يكون هناك مكاشفة في المراسلة ما لا يكون في

المواجهة .

قد تواجهُ أنت أمرًا تريد أن تدعوَ إنسانًا أو تجلوَ شبهة. في المواجهة قد لا تجتمع الحجج، وقد لا يجتمع الذهن، وليس كلُّ أحد يحسن المواجهة، والمواجهة - كما قال أحد الأدباء - لها مفاجآت تشيبُ لها رؤوسُ الرجالِ.

لذلك كانت المراسلة من الوسائل المهمة . يبعث رسالةً رقيقة فيها الرحمة بالمدعو، والشفقة عليه، وتبيين الحق له .

وفي رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائي لما جاء له كثيرٌ من الشبه قال: .. ووالله إني لأدعو الله لك في صلاتي، وأرجو أن تكون فاروقًا لهذه الأمة في آخرها، كما كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فاروقًا في أولها، ولم أزل أحسنُ الظنَّ بك، لأني رأيتك كتبت على أوراق من أبواب الإيمان في صحيح البخاري: هذا هو الحقُّ، وسرَّني ذلك منك جدًا ؛ لأنه مخالف لما كان عليه مشايخك

وآباؤك .

وهذه الرسائلُ في مثل هذه ترقّق هي وسيلة مهمة .

وأنا أرى اليوم أن هذه الوسيلة - وهي مؤثرة جدًا - قد تركت ؛ لأن المتلقي لا يرى تعابير وجهك، ولا يتأثر بتصرفاتك ؛ لأنه أحيانًا يَحجب الحقَّ رفعُ صوتك والنظرةُ الحادة، والكلمةُ النابية التي قد تخرج، ونحو ذلك، لكن الرسالة فيها تأثير عظيم، فلابدَّ من استثمارها في الدعوة إلى الله - جل وعلا - سواءً أكانت مباشرة في الدعوة، أم فيها إيضاح لمشكلة، أم دفع لشبهات، أم بيان الحق لخصوم . وهذا كثير في رسائل المشايخ ؛ ولذلك تجد رسائل أئمة الدعوة كثيرة، «الرسائل والمسائل»، «الدرر السنية» كثير منها تحمل النصائح لأشخاص معينين، أو لولي الأمر، أو لعالم من العلماء في أشياء شتى .

(٦) الاستفادة من الوسائل المستجَدَّة، على أن تكون وسيلة مباحة، وقد ظهر في أوائل زمن المشايخ في الثلاثين سنة الأخيرة في وقت الشيخ محمد بن إبراهيم، ثم الشيخ

عبد الله بن حميد، ثم الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين - رحمهم الله جميعًا -، ووسائل كثيرة اهتموا بها مثل المحاضرات، والأشرطة، وجمع الناس في المساجد، ومثل النشرات، والمطويات، والتلفاز، والإذاعة، ونحو ذلك من الأشياء الكثيرة والآن الحاسوب «الكمبيوتر». فهذه كلها وسائل مطلوبة في الدعوة .

(٧) انتقال الدعاة إلى الناس، وعدم انتظار مجيء الناس إليهم، لاشك أن الأصل في العالم أن الناس يأتون إليه؛ يستفتونه ويفقههم في دين الله، لكن الناس قد لا يأتون، ويحتاجون إلى من يأتي إليهم، فكانوا يتنقّلون في مناطق المملكة، وفي البوادي، وفي السفر إلى خارج المملكة؛ لنشر هذا الدين .

(٨) تولي المناصب والمسؤوليات إذا كان ذلك سيحقق مصالح شرعية، ويدفع مفاسد، ويحقق منافع للعباد والبلاد، ورعاية ما يحقق الخير ويدفع الشر مطلوب شرعًا .

وذلـك في سـيرتهم كثير، فإنهم تَوَلَّوْا بعضَ المناصب لجلب ما فيه النفعُ والمصلحةُ العامة بحسب النية والحال.

□□□□□

❑ سمات الدعوة إلى الله – تعالى – ومحتواها:

المنهجُ وما ذكرناه سابقًا يدخل في منهج الداعية، منهجهم في المدعوين، منهجهم في وسيلة الدعوة.

والآن حديثنا عن المنهج العام للدعوة فيما يتصل بمضمون هذه الدعوة، وموضوعها، ومحتواها .

(١) من أعظم سمات المنهج أنها دعوة مُتَّبَعَةٌ وليست مُبْتَدَعَةٌ. دعوةٌ قوامُها اتِّباعُ كتابِ اللهِ – جل وعلا – وسنةِ رسوله ﷺ ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة، والسلف الصالحون، وما كان عليه أئمة الإسلام، فلذلك لا يُعرف في هذه الدعوة مخالفةٌ لنصٍّ مأثور فيما أجمع عليه الأئمة، وإنما كانوا يأخذون بما دلَّ عليه الدليل، وما كان ظاهرًا في هدي السلف، وما اختلف فيه العلماء فإنهم يُرجِّحون، ولا يعيبون على أحد الانتسابَ إلى مذهبٍ معين؛ لأن الانتساب إلى مذهب ليس مذمومًا إلا إذا كان الأمر تعصبًا لهذا المذهب .

قـال الشـيخ محمـدُ بـنُ إبراهـيمَ - رحمه الله تعالى - وغـيرُه من علماء الدعوة: التمذهب بمذهب من المذاهب الأربعة سائغ بالإجماع، ولا محذور فيه، فإنهم أئمة متبعون بالإجماع، والناسُ في هذا طرفان ووسط:

١- قـوم لا يـرون التمذهُـبَ بمذهـب مطلقًا، وهذا غَلَطٌ.

٢- قوم جمدوا على المذاهب، ولم يلتفتوا إلى البحث.

٣- قـوم رأوا أن التمذهـب سائغٌ لا محذور فيه، فما رجَّح الدليل مع أحد من الأئمة الأربعة أو غيرهم أخذوا به. انتهى كلامه، رحمه الله.

وهذا منهج عامٌّ لهم في الاتباع.

فإذن هي دعوة فيها اتِّباعٌ، وليس فيها ابتداعٌ.

(٢) أنهـا دعـوةٌ تُبْـنَى عـلى تحقـيق المصـلحة ودرء المفسدة. و«**تحقيق المصالح ودرء المفاسد**» أصلٌ من أصول هـذا الدين. كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في القواعد

العامة لهذه الشريعة [١] .

قال العلماء: الشريعةُ جاءتْ لتحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها . هذا أصل من أصول الشريعة.

فمنهج الدعوة أن يُحرص على تحصيل المصالح وتكميلها، وعلى درء المفاسد وتقليلها، فكلما وجد الداعي سبيلاً إلى تقوية المصالح وتقليل المفاسد أخذ بذلك .

(٣) أنها دعوةٌ رعت البُداءة بالأهم فالمهم، وما يسمى في لغة أهل العصر **(فقه الأولويات)**.

و**(فقه الأولويات)** يعني تقديم ما هو الأولى، وهذا يحتاج بلا شك إلى علم لنعرف ما هو الأولى، وما هو الأهم، هذا العلم أحيانًا يكون مبنيًّا على النصّ، وأحيانًا يكون مسألةَ اجتهاد .

---

(١) انظر « مجموع الفتاوى » (١٣: ٩٦) .

لذلك قال – رحمه الله – في كلامه على حديث «معاذ» – رضي الله عنه – لما قال النبي ﷺ : «**إنك تَقْدَمُ على قومٍ من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ..**» [1] قوله: «**فليكن أول**»، الترتيب بالفاء، قال – رحمه الله – في مسائل «**كتاب التوحيد**»: فيه البُداءة بالأهم فالمهم، وذلك أن أمور الشريعة كثيرة، فلا يأتي الداعي في دعوته بكل شيء .

ولذلك قال الشيخُ محمدٌ – رحمه الله تعالى – في رسالةٍ له أرسلها إلى أحد العلماء في وقته اسمه عبدالرحمن بن عبدالله، قال: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فقد وصل خطابُك وسَرَّ الخاطر.

والمناسبة قال: سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وهذا سيرة العلماء أنه في الخطابات يكون هناك التسليم الأول والتسليم الأخير، وأوله يكون بالتنكير، «سلام

(١) تقدم تخريجه في ص (٢٧).

عليكم»، والأخير يكون بالتعريف، «السلامُ عليكم ورحمة الله»، يعـني: ما يُبتدأ به الرسالة يكون منكّرًا، وما يختم به يكون معرّفًا .

قـال بعض أهل العلم: إذا اجتمع سلامان في موضعٍ فالأوّلُ منكّر، والثاني معرّفٌ .

والدلـيل في ذلـك في سـورة مـريم حيث إنه لما ذُكر السـلام الأول قـال الله – جل وعلا –: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ (١) حكايـة كـلام نـبيٍّ الله «يحيى» عليه السلام.

وفي السـلام الـثاني قـال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ (٢) **حكايـة كـلام نـبيٍّ الله « عيسى » عليه السلام .**

هذه فائدة في اللغة العربية.

---

(١) (مريم: ١٥) .

(٢) (مريم: ٣٣) .

قـال: أمـا بعـد فقـد وصـل خطـابك وسـر الخاطر، جعلـك الله مـن أئمـة المتقين، ومـن الدعاة إلى دين سيد المرسـلين وأخـبرك أنـي - ولله الحمـد - مُـتَّـبِـعٌ ولست بـمبتدع.

لاحظ كيف تُرَتَّبُ الأوَّليَّات حتى في خطاب العلماء بعضهم لبعض، وكذلك في الدعوة، لا يُؤْتى بكل شيء بل يُؤْتى بالمهمات التي هي أهم وأعظم عند رب العالمين .

قـال: عقـيدتي وديـني الذي أدين الله به مذهبُ أهل السـنة والجماعـة، الـذي علـيه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعـة وأتـباعهم إلى يـوم القـيامة، لكـني بينـت للـناس إخـلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات مـن الصـالحين وغيرهـم، وعن إشراكهم فيما يُعبدُ اللهُ به مـن الذبـح، والـنذر، والتوكل، والسجود، وغير ذلك مما هـو حـقٌّ لله الـذي لا يَشْـرَكُه فـيه مَلَـكٌ مقـرّب ولا نبي مرسل.

وهـذا فـيه ترتيـب لـما ينبغي أن تكون عليه، خاطبهم

بشيء، وبالأصل العام .

ولما سُئل في موضع قيل له: إنكم تُكفِّرون الناسَ .

فقـال: لا، نحـن لم نُكَفِّر إلا ما أجمع المسلمون، وأجمع أهل العلم على التكفير به .

وكذلك قيل له في موضع آخر: قاتلتم الناس .

قـال: لم نقاتلْ إلاَّ ما أجمع العلماء على المقاتـلة عليه. وهكذا في مثل ذلك.

(٤) الاهـتمام بالعـلم المؤصَّـل بالدليل، والترجيح بـين كـلام أهـل العـلم في مســائل الفـروع، وفي مسائل التوحـيد والعقـيدة، وفـيما دلّـت عليه الأدلة وأجمع عليه أهـل العـلم، مـن أئمة الإسلام الذين يصار إلى قولهم في مثل هذا، وأمَّا المسائلُ الفقهيةُ فيرجح فيها بحسب الدليل، مـع أن عـلماء الدعـوة عـلى المذهـب الحنبلي، لكنهم لا يُنكرون على مَنْ تمذهب بغيره، وكذلك لا يتعصبون لهذا المذهب.

قال الشيخ – رحمه الله تعالى –: ونحن في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – ولا ننكر على من قَلَّدَ أحدَ الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير، ولا نفتش عن أحد في مذهبه، ولا نعترض عليه إلاَّ إذا اطلعنا على نصٍّ جليٍّ مخالف لمذهب أحد الأئمة.

(٥) أنها ضيَّقت الحكم بالإكفار (١) .

(١) آثرت استعمال «الإكفار» بدلاً من « التكفير » ؛ لأن النسبة إلى الكُفر هو «الإكفار»، أما «التكفير» فهو لليمين، والذنوب.
وترجمَ به «البخاري» في « صحيحه » فقال في (كتاب الأدب): (٧٣ باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال)، و(٧٤باب من لم يَرَ إكفارَ من قال ذلك متأوِّلاً أو جاهلاً)، وأخرج «مسلم» في «صحيحه» في (كتاب الإيمان – باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر) (٦٠) عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا أكْفَرَ الرجل أخاهُ فقد باء بها أحدُهما» وفي نسخة: «كفر»، و«أبو داود» في « سننه » في (كتاب السنة) (٤٦٨٧) حديث «ابنِ عمر» – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: « أيُّما رجلٍ مسلمٍ أكْفَرَ رجلاً مسلمًا، فإن كان كافرًا وإلاَّ كان هو الكافر » .
وقال « الفيروزابادي » في «القاموس» (كفر ٢: ١٢٧): «أكفره: دعاه كافراً . وكفَّر عن يمينه: أعطى الكفارة» ا.هـ.
ومصدر أكْفَرَ: إكفارٌ . لكنْ شاع بين المؤلفين استعمال «التكفير» بمعنى «الإكفار»، ولها وجهٌ في القياس ؛ لذا لا نخطئهم ولا نغيِّر نصوصهم إن نقلنا عنهم، والأعلى في اللغة ما استعملناه ؛ لموافقته للقواعد العربية، وورودِه في أفصح كلام العرب . والله أعلم.

وكما هو معلوم أنه ما من مذهب من مذاهب العلماء، وكتابٍ من كتبهم إلا وفيه باب مستقل في حكم المرتد، وفي كتب الفروع أحيانًا يبلغ خمسين صفحةً أو ستين صفحةً، فيما يصير به المسلم مرتدًّا، في أنواع من الأقوال والأعمال والاعتقادات والشكوك إلى آخر ذلك .

هذا توسَّعَ فيه أصحاب الفروع حتى صنف بعض العلماء فيه كتبًا مستقلة كابن حجر الهيتمي في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام » وغيرِه من العلماء، لكن المسألة لم تكن منضبطةً في ضوابط الإكفار ؛ ولذلك جاءت الدعوة فأصَّلت في تفصيلات، ونقلت أئمة الدعوة عن العلماء ما يتعلق بضابط الإكفار، وأنه ليس الأمر بإطلاقه كما هو عند الجهلة .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في رسالة بعثها إلى أهل منفوحة: .. وقولكم: إنَّا نُكَفِّر المسلمين، كيف تفعلون كذا، كيف تفعلون كذا ؟ فإنا لم

نكفّر المسلمين، بل ما كفَّرنا إلاَّ المشركين [(١)] ا.هـ.

وقال في رسالة أرسلها إلى رجل من أهل ثرمداء: .. وأمَّا ما ذكره الأعداء عني أني أكفِّر بالظن، أو بالموالاة، أو أكفِّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحُجَّةُ فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفيرَ الناس عن دين الله ورسوله [(٢)] ا.هـ.

وما أشبهَ الليلةَ بالبارحة! فاليوم الذين يتهمون فيه هذه الدعوة بالإكفار، أو أنها من منهجها الإكفار إنما استغلوا الأحداث التي وقعت في هذه السنوات الأخيرة لينفِّروا الناس عن دين الله ورسوله، وعن الدعوة السلفية التجديدية الصحيحة عن منهج الصحابة والتابعين من السلف الصالح إلى وقتنا الحاضر .

ضوابط الإكفار:

ضيّقت الدعوة مجال الإكفار الذي هو مبثوث في كتب

---

(١) انظر «الرسائل الشخصية» ١٠٥.

(٢) انظر «الرسائل الشخصية» ١٤ .

أهل العلم، ووضعت الضوابط:

أولاً: قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –: .. أولُ الضوابط أنه لا يُكفَّر بالظن، إنما يُكفَّر بما هو مستيقَن. فالظنُّ أن يقال عن فلان كذا، ويقال عن فلان كذا، وسمعنا كذا، فهذا قُطع فيه، فليس الشأن في الحكم أن يحكم مِنْ دون تثبُّتٍ ومعرفة .

ثانيًا: قال: .. ونحن لا نكفِّر إلا بما أجمع العلماء على التكفير به .

ثالثًا: قال: .. وإنه لا يُكفَّرُ المرءُ حتى تقوم عليه الحجة الرسالية التي يَكْفُرُ مَنْ علمها فتركها، وتنتفي الموانع .

وهذا التأصيلُ لإقامة الحجة وانتفاء الموانع ؛ فَصَّلَه شيخ الإسلام ابن تيمية (١) وابن القيم، وفصَّله أئمة

---

(١) قال – رحمه الله – في « مجموع الفتاوى » (١٢: ٤٦٦): « وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتُبيَّن له المحجّة. =

الدعوة . وهو ميذان يُضَيِّقُ ميدانَ الإكفار، مثل الحكم بالزنا في الشرع، أنه من زنا فإنه يرجم إن كان محصنًا، ويجلد إن كان غير محصن .

لكن هذا حكم والإكفار حكم موجود، قال الله - جل وعلا -: ﴿ .. وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ .. ﴾ [(١)]، وقال - عز وجل -: ﴿ .. كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ .. ﴾ [(٢)]، وقال - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ .. ﴾ [(٣)]، فالردة تحصل للمسلم مثل ما يحصل منه الزنا، لكن كيف يثبت هذا الشأنُ؟

لذلك نسأل: كم جاء في تاريخ الإسلام من حدٍّ أقيم في الزنا مع وجود القضاة، ووجود المحاكم، ووجود الدول

ومَنْ ثَبتَ إسلامه بيقين لم يُزَل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة » .

وانظر « مجموع الفتاوى » (١٢: ٤٦٨، ٤٧٤) .

(١) (التوبة: ٧٤) .

(٢) (آل عمران: ٩٠) .

(٣) (المائدة: ٥٤) .

الإسلامية، من وقت النبيِّ ﷺ ، ووقت الخلفاء إلى يومنا؟

الجواب: هي حالات نادرة تُعَدُّ على الأصابع. لماذا؟

الجواب: لأن الله – جل وعلا – قال: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ .. ﴾ [1] .

وفي سورة النور ذكر اللهُ حدَّ القذفِ لمن يرمي المحصنات من دون أن يأتوا بأربعة شهداء، ورتَّب على ذلك ردَّ شهادتهم إلى الأبد، وجعلهم هم الفاسقين فقال – جل وعلا –: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [2] . فلا بد حينئذٍ من الإتيان بأربعة من الشهداء، لا يبنون على الظنِّ، يقولون: رأينا كذا وكذا، بما ينفي الاحتمال، أو مِن

(١) (النساء: ١٥) .

(٢) (النور: ٤) .

اعترافٍ مكرر. وهذا أمر يُضَيِّقُ الأمر .

كذلك باب الإكفار مُضيَّق . فقال: .. حتى تقوم عليه الحجة الرسالية، ليست حجة عامة .

مَنْ يقيم الحجة الرسالية ؟

الجواب: يقيمها ورثةُ الرسل، وورثة محمد – عليه الصلاة والسلام – الذين هم أهلُ العلم .

لا ينبغي أن يأتي أحد ويقول: والله هذا قامت عليه الحجة ويُكَفَّرُ، هكذا بالحكم العامٍّ .

قال أحدُ علماء الدعوة: .. وجِلاء الشبهة يختلف بحسب الاشتباه .. .

فقد تكون الشبهةُ قويةً فيحتاج إلى حُجة قوية، وقد تكون الشبهةُ ضعيفةً فلا تحتاج إلى حجج متواصلة أو قوية.

فالمسائل أيضًا في وجود الشبه ودرء الشبه وردّ الشبه تختلف ما بين أمر وآخر، يقول الواحد: أنا لا أدري أن

الخمر حرام، هـذه مسألة معلومة من الدين بالضرورة، لكن يحتمل أنه غافل، أو أنه كان مجنونًا فصَحَّ .

ويحتمل أنه كان بعيدًا عن أهل العلم، كأن يكون نشأ في بادية بعيدة، وقدم إلى الديار، لكن هذا الاحتمال ضعيفٌ فإقامةُ الحجة عليه بأيسر ما يكون، وليست كما يكون فيه شبهة، كبعض مسائل التوحيد، وبعض مسائل التوسل، أو بعض مسائل التحكيم، أو نحو ذلك . فالمسائل تختلف.

كذلك المسألة المهمة وهي انتفاءُ الموانعِ.

الموانع: جمع مانع، فما هي الموانعُ ؟

الجواب: يوجد موانع تمنع من الحكم بالإكفار، وهذه فصَّلها أئمة الدعوة، كما فُصِّلت في كتب الفقه قبل المشايخ، لكن العلماء لأجل عنايتهم بتضييق هذا الأمر، وأن لا يُحكم على أحد إلاَّ وهو مستحقٌّ له بحكمٍ شرعي واضح قالوا: لا بدَّ من انتفاء الموانع .

الكلام على انتفاء الموانع:

١- لا بد من وجود العلم في هذا الأمر بأن لا يكون جاهلاً فيه .

٢- أن لا يكون صَدَرَ منه على سبيل الخطأ، كالذي قال: « **اللهم أنت عبدي وأنا ربك** »(١) . هذا قالها على سبيل الخطأ، لا على سبيل الاعتقاد .

٣- التأويل، أن لا يكون مُتَأَوِّلاً، وإلا لو أغلقنا باب التأويل في مسائل الإكفار لكفَّر المسلمون بعضُهم بعضًا؛ هذا يقول: أنا قلت كذا، تأوَّلَ المسألةَ، وهذا يفعلُ كذا، لو سُبَّ أحد أو بُدِّع أو فُسِّق أو كُفِّر من دون نظر إلى ما

---

(١) أخرجه « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب التوبة - بابٌ في الحضِّ على التوبة والفرح بها) (٢٧٤٧)، عن « أنس بن مالك » - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « للهُ أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوبُ إليه، من أحدِكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ، فانفلتتْ منه، وعليها طعامُهُ وشرابُهُ، فأيسَ منها، فأتى شجرةً، فاضْطَجَعَ في ظِلِّها، قد أيسَ من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده، فأخَذَ بخطامها، ثم قال من شدة الفرحِ اللهم أنت عبدي وأنا ربُك، أخطأ من شدة الفرح »

يتأول به المسلم في المسائل فإنه حينئذ لا يكون حاجزًا بل سيكفِّر بعضُ هذه الأمة بعضًا، وقالوا: لابدَّ من انتفاء الموانع. ومنها أن لا يكون متأوِّلاً [1]، والتأويل له تفاصيل معروفة في كلام أهل العلم.

٤- أن لا يكون مُكْرَهًا، فإذا كان مكرهًا بالقول أو بالفعل فإنه حينئذ يكون معذورًا.

والإكراه له أحوال ودرجات. ويختلف الناس في مقدار الإكراه، فبعض الناس يتحمل إكراهًا عظيمًا، وبعض الناس لا يتحمل. فهنا ينظر في الحال ويُحْكَمُ بحسبها.

للقاضي الحكم بالردَّة

كذلك من تضييقهم لباب الإكفار أنهم لم يجعلوا الحكم بالردة لكل أحد، بل الحكم بالرِّدة هو كالحكم

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٧: ٢١٧)، و«فتح الباري» (١٠: ٥١٤ – ٥١٦) و(١٢: ٣٠٤).

بالقتل، لأنه سيترتب عليه إمَّا قتلٌ، أو فسخ، أو أحكام وجنايات، أو الحكم بالحد، أو نحو ذلك، وهذه يحكم فيها القضاة ؛ لأنها تحتاج إلى شروط، وانتفاء موانع ووجود أشياء وكذلك المفتي الذي اجتمعت فيه الشرائط المعروفة.

(٦) محبةُ المسلمين والسعي فيما ينفعهم، فإن علماء الدعوة حرصوا على الاتصال بالمسلمين ونفعهم، وردّ الكيد عنهم، وحماية البيضة لهم. وهذا فيه النفع العام ؛ لذلك اتصل بعلماء الدعوة عددٌ من علماء الأمصار، وأخذوا هذه الدعوة ونشروها في بلدانهم، ولأنهم يأخذون معهم الأصل الشرعي، وهو قول الله – جل وعلا –: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ .. ﴾ (١) وقولُ الرسول ﷺ : **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدّ بعضُه بعضاً»**(٢) فهم في محبتهم للمسلمين يدفعون عنهم،

(١) (التوبة: ٧١) .

(٢) أخرجه « البخاري » في « صحيحه » في (كتاب الصلاة – باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره) (٤٨١)، وفي (كتاب المظالم – باب نصر المظلوم) (٢٤٤٦)، =

ويسعون في الخير لهم ؛ ولذلك بَعَثُوا إليهم الدعاةَ، وأرسلوا إليهم بالإعانات والعطايا منذ زمن الدولة السعودية الأولى، كما هو معلوم.

(٧) الاهتمام بلزوم السنة، والابتعاد عن البدع ووسائلها، ودعوة الناس إلى ذلك، لا بد من حماية الدين بالاهتمام بالسنة والدعوة إليها، والبعد والحذر من البدع وأهلها، وذلك لأنه لا يمكن أن يُحْمَى حياضُ الدين إلا بتقوية السنة وردِّ البدعة، أما إذا تساهل الناس في السنة، وتساهلوا في البدعة فإنه سيُقْتَحَمُ الدينُ، ويضعفُ

وفي (كتاب الأدب – باب تعاوُن المؤمنين بعضهم بعضًا) (٢٠٢٦)، و « مسلم » في « صحيحه » في (كتاب البر والصلة والأدب – باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) (٢٥٨٥)، و«الترمذي» في « جامعه » في (أبواب البر والصلة – باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم) (١٩٢٨)، و « النسائي » في « سننه » في (كتاب الزكاة – باب أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه) (٢٥٦١)، وأخرجه «أحمد» في «مسنده» (٣٢: ١٩٦٢٤) بأطول مما تقدم . كلهم عن «أبي موسى الأشعري» رضي الله عنه .

قوله: « كالبنيان » ليس إخباراً عنهم، بل بيانٌ لما ينبغي أن يكونوا عليه، حثًا لهم على التآلف والموافقة .

الانتصار له.

(٨) الاهتمام بمخالفة أهل الجاهلية في خصالهم.

وألّف الشيخ محمد بن عبد الوهاب إمام هذه الدعوة التجديدية الإصلاحية رسالته المعروفة « مسائل الجاهلية » وكانت المسائل الأولى الثلاث منها:

الأولى: في التوحيد.

والثانية: في طاعة الرسول ﷺ، والنهي عن البدع.

والثالثة: في طاعة ولاة الأمر [١] .

وذلك أن الزمنَ الذي عاش فيه الشيخ – رحمه الله تعالى – زمنُ فتن، وكل أهل قرية وأهل بلد يقولون: لنا أميرُنا، والناس في فرقة عظيمة، فعَظَّمَ الأمرَ، وشدَّدَ على السمع والطاعة، ولزومِ البيعة لوليّ الأمر الذي بايعه المسلمون في ذلك، وربّى الناسَ على ذلك تربيةً شديدة ؛

(١) انظر «مجموع مؤلفات الشيخ، رحمه الله» (مسائل الجاهلية) (٦ : ٢٢٨).

لأنه لن يصلح حال الناس إلا بالالتزام بهذا الأصل .

واللهُ – جل وعلا – يحقق من الدين في ظلِّ وليِّ أمرٍ – مهما كانت حاله ما دام مسلمًا – مالا يحققه في غيره، فإذا ذهبتْ مهابةُ وليّ الأمر فإنه ستحصل الفوضى التي يكون فيها الناس، فلا يأمنون على دمائهم، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولا تنتشرُ الدعوة في ذلك.

اليوم في بعض البلاد القريبة والبعيدة التي فيها فتن ومقاتل ضَعُفَتْ فيها الدعوةُ حتى صارت أضعفَ مما كانت عليه في أزمنة سابقة في تلك البلدان، وكان فيها الظلم والطغيان من قِبَلِ حكامها؛ لأن مع الأمن تنتشر الدعوةُ، لكن في الفوضى يكون هناك موبقات تِلْوَ موبقات، مع أنَّ الله – جل وعلا – أمرَ بذلك أمرًا مُحكمًا، لا لبس فيه ولا تأويل قال الله – جل وعلا –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ.. ﴾ (١) .

---

(١) (النساء: ٥٩) .

فمما تميزتْ به هذه الدعوةُ في منهجها ملازمةُ الدولة، ومناصحةُ وليِّ الأمر، والسمعُ والطاعةُ له، وعدمُ التخذيل عنه، والمجاهدةُ في ذلك في النصيحة بحسب الحال، وأن لا تُنزعَ يدٌ من طاعة، أو يُؤَلَّبَ على وليِّ الأمر، أو يُسعى في الناس فيما يؤدي إلى إضعاف ثقتهم بوليِّ الأمر؛ لأن صلاح الدعوة والخير لا يكون إلا بالاجتماع، واللهُ - جل وعلا - قال: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ .. ﴾ (١).

(٩) العناية الشديدة في منهجها في لزوم الناس للطاعة، فكان هناك التشديدُ على الحث على لزوم الناس في أداء العبادات، والصلاة مع الرجال في المساجد، وتعاهد النساء والصبيان في البيوت بالصلاة، وكان هذا أمرًا عظيمًا لا يتخلَّف عن الصلاة أحد في المساجد إلا من كان معذورًا، ومَنْ تخلف بغير عذر فإنه يُعَزَّرُ بحسب الحال

(١) (آل عمران: ١٠٣).

إمـا بترك تكليمه، وإما بأخذ شيء من ملابسه، أو نحو ذلك في ذلك الحال، أو بالتشهير به، بحسب مقتضى الحال، كما دلَّ عليه الحديث الذي في السنن (١).

كذلـك الاهـتمامُ بحـثِّ الـناس عـلى أداء الـزكاة، والعـبادات الأُخَـر، وتفعـيل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

□□□□□

---

(١) انظر «سـنن أبـي داود» في (كتاب الصلاة - باب التشديد في ترك الجمـاعة (٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٠، ٥٥١).

الخاتمة

ويضيق المقام عن مزيد بسط لذلك، ولا شك أن التفصيل في المنهج يحتاج إلى وقتٍ أطولَ، لكن هذه خلاصة في هذه الموضوعات .

أسأل اللهَ - جل وعلا - أن يجعلنا وإياكم مباركين حيثما كنَّا، معلمين للخير، ناهين عن الشر، مصلحين ومعينين لأهل الإصلاح، ومجانبين لأهل الفساد، ومنكرين عليهم، ومتعاونين مع ولاة أمورنا على البر والتقوى، إنه سبحانه جود كريم .

اللهم ارحم أئمةَ الإسلام، وارفعْ درجتهم في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، واجعلنا معهم تحت لواء نبينا محمد بن عبد الله، عليه الصلاة والسلام .

اللهم إنا مذنبون فاغفر جمًّا . اللهم إنا مقصِّرون

فاغفـر جمًّـا. الـلهم آلـف بين قلوبنا، وانشر الحق والهدى، وأزلِ الشرَّ والردى . إنك جوادٌ كريم .

وصـلى الله وسـلم وبـارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

□□□□□

ملحق الأسئلة والأجوبة

(١)

سأل سائل فقال:

ذكر أحدُهم في كتاب له أن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب توافق عقيدة السلف جملةً ؟ فهل في تفاصيل عقيدة الشيخ ما يخالف عقيدة السلف ؟

فكان الجواب: الحمد لله رب العالمين، كلمة (جملةً) الظاهر لي من كلامه أنه يقصد بلا استثناء، يعني جملةً لا يخالفهم في شيء، وقد تطلق كلمة (جملةً) بأن المراد بها في الأصول، مع احتمال المخالفة في المسائل، وهذا إن كان مراد القائل فليس بصحيح، فلا يعرف عن هذه الدعوة، ولا عن الدعوة السلفية بعامة، ولا عن دعوة أهل الحديث أنها خالفت، بل هي الداعية إلى لزوم منهج السلف في الأصول والفروع .

(٢)

سأل سائل فقال:

ما الفرق بين بيان الحجة، وإقامة الحجة؟

فكان الجواب: «إقامة الحجة » تشمل أشياء:

الأول: سرد الحجة، وإسماع الآخر الحجة، قال – جل وعلا –: ﴿ .. فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ .. ﴾ (١) .

والثاني: «بيان الحجة» بمعنى إيضاح دلالة هذه الحجة باللسان الذي يتكلم به المخاطب . إيضاح الحجة معنى الدليل دَلَّ على كذا، معنى العبادة كذا وكذا، والحجة فيها كذا .

الثالث: إزالة الشبهة إن كان عند المتلقِّي الشبهة .

الرابع: فهم الحجة بحسب اللسان، هذه داخلة في بعضها لكن نُصَّ عليه لغرض . والعلماء من قبل قالوا:

---

(١) (التوبة: ٦) .

لا يشترط فهمُ الحجة، وإنما المقصود إقامةُ الحجة . وهذا صحيح، لكن الفهم فهمان: فهمُ لسان، وفهمُ قناعة، أما فهم اللسان فهو من إقامة الحجة، فهو مشترط أن يفهم المعنى، ويفهم وجه الحجة، ويفهم الدليل، ويفهم اللسان، ويفهم الكلمات، ويفهم القواعد، ويفهم وجه الدّلالة، ويفهم ردّ الشبهة، وهذا لابدَّ منه .

لكن الفهم الثاني فهم القناعة . وهذا لا يشترط ؛ ولذلك قال الشيخ إمام الدعوة – رحمه الله تعالى -: ولو اشتُرط فهم الحجة لم يكفر إلا المعاند، لو قلنا: إنه يُشترط فهم الحجة، يعني فهم القناعة، قال: لم يكفر إلا المعاند .

ما حال المعاند ؟

يقول: أنا اقتنعت لكن لن أؤمن . لم يكفر إلا المعاند، لو اشترطنا الفهم لكن هنا فهم القناعة ليس شرطًا، هو يقول: أنا ما اقتنعت، قد يقول: أنا اقتنعت، لكنه مكابر، أنا لا أريد أن أؤمن، قال الله – تعالى -: ﴿ ۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ

﴿لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ (١) . هم مقتنعون لكن ما يريدون الإيمان، وقال – سبحانه -: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ..﴾ (٢) مستيقنين بها ومقتنعين لكن منعهم العناد، هذا ليس هو المراد، قد يكون هو فَهِمَ الحجةَ لكنه لم يقتنع بوجود عارض عنده من قوة التمسك بأحوال الشرك، أو بأصول الشرك، ونحو ذلك . فهذا لا يشترط له فهم القناعة، أما فهمُ اللسان وفهمُ البيان فهذا لا بدَّ منه، وهو داخلٌ في إقامة الحجة .

(١) (الشعراء: ١١١) .
(٢) (النمل: ١٤) .

(٣)

سأل سائل فقال:

هل مناقشةُ أهلِ البدع أمام الناس من طريقة السلف الصالح ؟

فكان الجواب: هذه بحسب الحاجة، إذا كانت من باب المناظرات التي لو تركت لصار ضرر من تركها، أو لتولاها من لا يحسن فإنه لا بأس في ذلك . وفيها إقامة الحجة على الناس، ولا يتولاها إلا من هو أمثلُ من غيره في ذلك .

أما في الأصل فإنه لا يصار إليها إلاَّ عند الحاجة والضرورة إلى ذلك . والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ

وعلى آله وصحبه أجمعين.

□□□□□

المحتوى

* * *